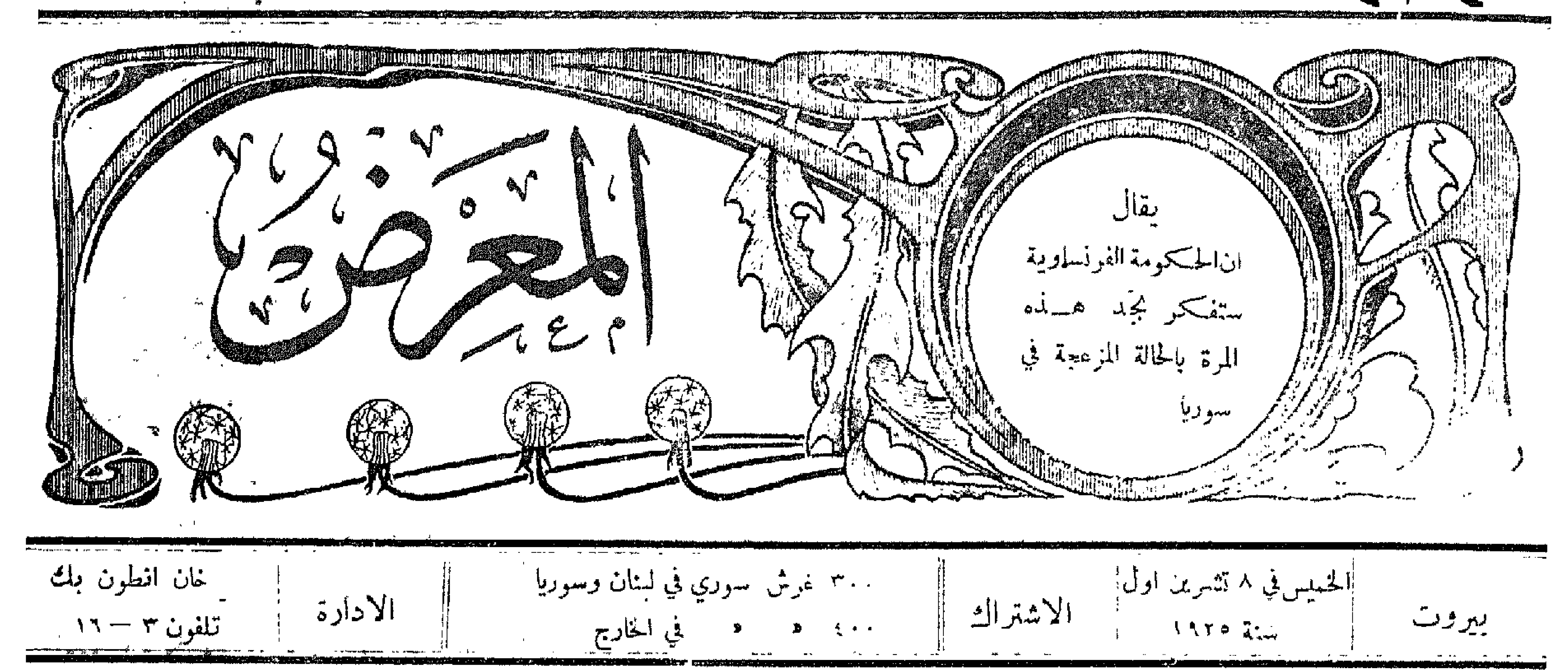


بيروت | الخميس في ٨ تشرين اول سنة ١٩٢٥ | الاشتراك ٣٠٠ غرش سوري في لبنان وسوريا ٤٠٠ » » في الخارج | الادارة خان افطون بك تلفون ٣ — ١٦



قتلى الثوار في جبل الدروز بعد معركة دامية — تصوير سكافو

أخذ هذا الرسم المفجع في ساحة القتال في جبل الدروز وقد تكدست جثث قتلى الدروز مئات مئات في المعركة كما هو ظاهر في الرسم بهيئة تقشعر منها الابدان وقد اخذ هذا المشهد عقيب معركة المسيفرة الشهيرة ، صوره للمعرض المصور الشهير سكافو

لقطات الطريق

مقدمة

اللقطات التي تلي هذه المقدمة ليست لمنشيء « المعرض » بل هي للكاهن الاديب الخوري يعقوب صفير من الاساتذة المعروفين في مصر وقد جاء الى وطنه في فصل الصيف ، وقبل ان يترك ارض لبنان كتب لنا هذه

الملاحظات

اما كلمته في شأن الانتخابات وتأخير المصادقة عليها حتى الآن فهي في محلها ولكنه متى عرف ان الحكومة ترى من الموافق لها تأخير التصديق على الانتخابات النيابية فهم سرّ هذا التأخير . فالحكومة التي عرفت مبلغ ما عاناه النواب حتى وصلوا الى الكرسي تريد ان يظلوا مدة في يدها حتى تتم لها المصادقة على ما بعض ما يهمها من الامور — كقرار تأجيل انتخاب رئيس الحكومة

الوطني مثلاً — ولا يكون ذلك الآ بابقاء سيف بريكليس مصلتاً فوق روؤسهم وهذا السيف هو تأخير المصادقة على انتخاباتهم . واما نحن فاننا لم نسمع في تاريخ المجالس ان نواباً اشتغلوا ثلاثة اشهر وهم بدون مصادقة على انتخاباتهم . وهذا الامر هو احدى عجائب الادارة الحاضرة

واما النافعة فعند « المعرض » الكثير من اخبارها وهي تتوالى في اعداده فرادى وثنى

هذا تعليق (مسّق) على ملاحظات الكاهن الاديب التي تلي :

تذاكر النفوس والانتخابات الثانوية

من تراه يصدق ان حكومة لبنان لم تنته حتى الآن من التدقيق في صحة الانتخابات الثانوية او انها لم تباشره وقد انتهت دورة المجلس الاولى وعرضت عليه شؤون البلاد الهامة . ولو فرض ان كانت اكثرية هذه الانتخابات فاسدة فما تعمل الحكومة الموقرة ? وكيف تسوغ لنفسها صرف الرواتب الى نواب ربما كانت نيابتهم فاسدة ?

قد لا يصدق بعض القراء ان الحكومة لم تنته حتى اليوم من التدقيق في الانتخابات الثانوية ولكن كاتب هذه السطور تقدم الى لجنة الانتخاب في مزرعة كفرديان فاحيلت تذكرته وكثير غيرها « من المعارضين طبعاً » الى مجلس الشورى للبت في صحة انتخاب حامليها وعدمه وذلك لان كاتب هذه السطور ارتقى الى درجة الكهنوت بعد اجراء التعداد فغيّر اسمه من قزحيا الى الخوري يعقوب . الا ان لديه كل البينات المثبتة ، عدا عن ان اللجنة كلها ، خلا المدير الذي كان معتدلاً ، تعرفه شخصياً . وليس ذلك من شأننا الان فقد عرفت الحكومة ان المعارضة اكثر الاحزاب اللبنانية اخلاصاً ، انما يهمني ان ابين للقراء الكرام اني اضطررت ان اعود الى مصر ولم اقدر ان استرجع تذكرتي المسكينة التي آلت على نفسها ان تشيخ في مجلس شيوخ لبنان ولا اظن ان التحقيق فيها ينتهي قبل الانتخابات القادمة . اجل فالعجلة من الشيطان

. . .

العطلة في المحاكم والدوائر

تنتقل الدوائر الى مراكز الاصطياف فينعم المأمورون ، وهذا حق ، بجبال المصايف ويا ليتهم يجددون فيها نشاطهم ، ثم نراهم فوق ذلك يعطلون ثلاثة ايام متوالية في الاسبوع ويقفلون دوائرهم بعد ظهر كل يوم واكثر المأمورين لا يحضرون يوم الاثنين لانه جحش الاحد ولا يوم الثلثاء لانه ابن جحش الاثنين ، وبعد ذلك لا تعجب من سرعة انجاز الاعمال وشدة التدقيق فيها ، اجل بمثل هذا النظام ، اذا اطال امره ، اوصي ان تعطى تذكرة نفوسي لابناء ابناء ابناء اخوتي حينما ينتهي مجلس الشيوخ من التدقيق بها

النافعة

لا اري ان يقال فيها الا ما قاله الاسكندر ذو القرنين لسمي له كان صعلوكاً رث الثياب : «ياهذا اما ان تغير اسمك او فعلك » . وهذه الادارة الموقرة نخاطبها بلسان كل لبناني : « يا هذه اما ان تغيري فعلك او ان تسمي نفسك مضرة » ما قول ابناء لبنان بسكان مزرعة كفرديان الذين بحت اصواتهم وتكسرت ارجلهم ، هم يركضون ويسترحمون لتقرر لهم النافعة الطريق من القليعات الى بلادتهم على نفقتهم الخاصة ، تفعل الا مكرهة ، لاسباب هي وحدها تعلمها ، ثم قررت كلفة هذه الطريق سبعة وثلاثين الف ليرة سورية وقد كان كثيرون من الملتزمين يتقدمون لضمانها من الاهالي بمبلغ اثني عشر الف ليرة فعرض الكفرديانيون هذا الامر لحضرة الحاكم فاعيد النظر في كلفة الطريق فاذا هي عشرون الف ليرة بحسب تخمين النافعة . ثم ما لبثت هذه ان رفعت المبلغ الى ثلاثين الف ليرة لانها لا تريد ان تتكلف حتى التحصيب وقالت انها لا تسمح بشق هذه الطريق ان لم يجتمع في صندوقها ثلاثون الف ليرة عيناً . ولما قيل لها ان اثني عشر الف ليرة تكفي لشغلها قالت . اذا بقي في صندوقي من مالكم شيء فاني اعيده لكم ، فذكر اذ ذاك الكفرديانيون ثمانين الف قرش في صندوق النافعة السابقة قبل الحرب وبكوا بكاء مراً وتمثلوا بقول الشاعر

لو بغير الماء حلقي جرض
كنت كالغصان بالماء اعتصاري

لا يمكن تصديق الخبر

حملت بعض السنة السوء الناقمة على المجلس الحالي اشاعة لا يمكن تصديقها ومحور هذه الاشاعة ان بعض النواب يسعون للمصادقة على اقتراح جديد يتعلق بتجديد حاكمية المسيو كايلا الى مدة تتجاوز الثلاث سنوات

فنحن نرى ان هذه الاشاعة هي محض اختلاق ضد النواب لاننا لا نريد ان نصدق ان في المجلس الحالي — على ما فيه من علات — رجلاً واحداً يفكر باقتراح من هذا النوع ، لا لان المسيو كايلا رجل لا يستحق ذلك ، بل لان النواب مهما قصرت معارفهم يعرفون على ان هذا الامر سيحدد في القانون الاساسي الذي يجب حتماً ان ينتهي امره في اواسط عام ١٩٢٦

ونعتقد ايضاً تمام الاعتقاد ان المسيو كايلا نفسه لا يرضى بهذه اللعبة التي تدل تماماً على جهل القائمين بها وعن خنوعهم المعيب

اذن فكل الظروف والاحوال تؤيد لنا اعتقادنا بعدم صحة هذه الاشاعة

نشر المسيو كيريليس في جريدة « الايكو دي باري » تفاصيل مساعي زعماء الدروز للحصول على مقابلة الجنرال سراي ونص كتاب الامير فواد ارسلان الذي بسط فيه ما بذله من مجهودات ليقابل الجنرال هذا الوفد ولكن مجهوداته ذهبت سدى

وصل مهرجاه كابورتالا احد كبار اقيال الهند الذي زار من عامين بيروت الى الارجنتين لزيارة رئيس جمهوريتها وسيتابع طريقه الى الولايات المتحدة .

بلا عنوان

على القراء ان يراجعوا الحركات الحربية في جبل الدروز على الخريطة الخصوصية التي وضعت للمعرض والمنشورة في هذا العدد وهي اكمل واوضح خريطة لجبل الدروز

اخذ الاستاذ وديع افنـدي صبرا في اعداد المكان الذي خصص له في دار الصنـائع والفنون لتدريس فن الموسيقى الوطنية

حدثت مشاجرة في سوق النجارين جرح فيهـا عابدين حمزه وهاشم الحموي ومحمود احمد فياض وقد قبض على اربعة اشخاص ونقـل الجرحى الى المستشفى

وصل الى البشير ان اكثر المحكوم عليهم بالاعدام والسجن المؤبد ولمدة ١٥ سنة الموجودين حالاً في سجون بيت الدين قدموا الى الجنرال سري عريضة يطلبون فيها الانخراط في الجندية لمحاربة ثوار الدروز

وكذلك فعـل منجم قاسم الموجود حالاً في سجون بعبدا

المعرض — هذه طريقة جديدة في النجـاة من الاعدام والسجون

احتلت الجنود الفرنساوية الزاحفة على جبـل الدروز قرى خربا ورساس وقد استسلم الزعيم حمد بك الاطرش بلا قيد ولا شرط والقوى متجهة نحو عرى وصلخد ويقدر احتلالها

تقول الارز ان الجنرال غاملان قرر تجهيز ثلاثين طيارة بالديناميت وارسالها فوق قرى الجبل لتدميرها

سادت الحالة عن جديد في وادي العجم اذ تدهبط عليه بعض الثوار من الدروز فخاف المسيحيون ولجأوا الى دمشق هاربين والى بعض القرى المسيحية البعيدة ويخشى من شر متفاقم هناك

طلب عقله القطامي العفو والتسليم الى الجنرال غاملان

انتقل الى رحمة الله المبرور يوسف الياس غانم فاقيمت له مناحة مهيبة في «الطيونه» حضرها اهالي الساحل باكين في الفقيد فضائله الطيبة واخلاقه الرضية وقد اودع المقر الاخير بين الدموع والعبرات فنسأل له الرحمة الواسعة ولآله الكرام جميل العزاء

اعتدت عصابة من الاشقياء صباح الاحد قرب دمر على سيارة ركاب فجرحت بعضهم ونهبت الجميع وقد ارسلت قوة لمطاردتها

علمت الف باء ان عصابة من الثوار مع فريق من دروز وادي العجم هاجموا قرى عرفه وعين الشعرا وحينئذ فنهبوا البيوت والمنازل وهدموا قباب الكنائس والمعابد واستولوا عـلى المواشي فهرب السكان لاجئين الى قطنا ودمشق

وعلمت ايضا ان قرى الثوار في الجبل ترفع الاعلام البيضاء للتسليم قبل وصول الجنود الفرنساوية اليها

قبض في (دير علي) على السيد تللو ناعترف انه اشترك مع اخويه في الاعتداء الذي وقع على الجنرال سوله

اذنت الحكومة بمحاكمة بضعة عشر رجلا من البوليس بسبب حوادث مظاهرة ٢٠ تموز

سيحاكم المعتقلون الدمشقيون امـام مجلس عسكري فرنساوي

احتل الاسبانيون اغادير وكانت عاصمة الريف قبلا ومقر عبد الكريم

هاجم البدو حماه فاحرقوا الدوائر الرسمية كسراي الحكومة والبلدية والبرق والبريد والديون العمومية والشرطة واقفلت المدينة وتولى الذعر الاهالي ولم يعلم عدد القتلى تماماً وقد ارسلت كتيبتان الى هناك لارجاع الامن الى نصابه

ويقول البلاغ الرسمي ان القوات التي ارسلت الى حماه اشتبكت مع المشاغبين فقتلت منهم ثلاثين رجلا

وقال بلاغ رسمي ايضا ان احد الاهلين في دمشق حاول الاعتداء على ضابط فرنساوي فتدخل في الامر ضابط معاون وصرع المعتدي

تقول الف باء ان الجنود الفرنساوية استولت على مدينة حماه والقت القبض على الكثيرين من الثائرين

صرحت الوزارة الحربية الفرنساوية بان لا صحة للخبر القائل ان الجنرال ميشو احيل على المجلس الحربي ليجيب عن الحوادث العسكرية التي تقدمت انقاذ السويداء

بعد ان استقبل المسيو بانلفيه الجنرال ميشو امر باجراء التحقيق عاهداً بذلك الى الجنرال ديبنت العضو في المجلس الحربي الاعلى وقد اعطيت له جميع التعليمات التي تلقتها باريس بهذا الشأن وباشر في الحال اعماله وسيتابع تحقيقه بعد ذلك في سوريا

اذاعت السلطة البلاغ الرسمي الآتي :

حدثت ليل امس بعض اضطرابات موضعية بجهة في حماه ويظهر ان جماعة البدو يداً كبرى في المسألة

وقد اتخذت الحكومة كل التدابير اللازمة لاعادة السلام الى نصابه

مدرسة البنات الاهلية

تخدم الوطن اذ تعنى بتربية التلامذة وتنشئة شخصيتهم على اساليب التربية الحديثة التي تعودهم احترام انفسهم والاعتماد عليها في تحصيل المعرفة مع المخالقة الحسنة للناس واحترام مبادئهم

هذه المدرسة تفتح ابوابها يوم الخميس الواقع في ٨ ت ١ وترجو من الاهلين ارسال اولادهم في الوقت المعين . لان المحافظة على الوقت يساعد التلميذ عمليا واخلاقيا

تسجيل الاسماء ومقابلة الرئيسة يبتدئان اول ت ١ كل يوم من الساعة ٩ — ١٢ قبل الظهر في بناية المدرسة

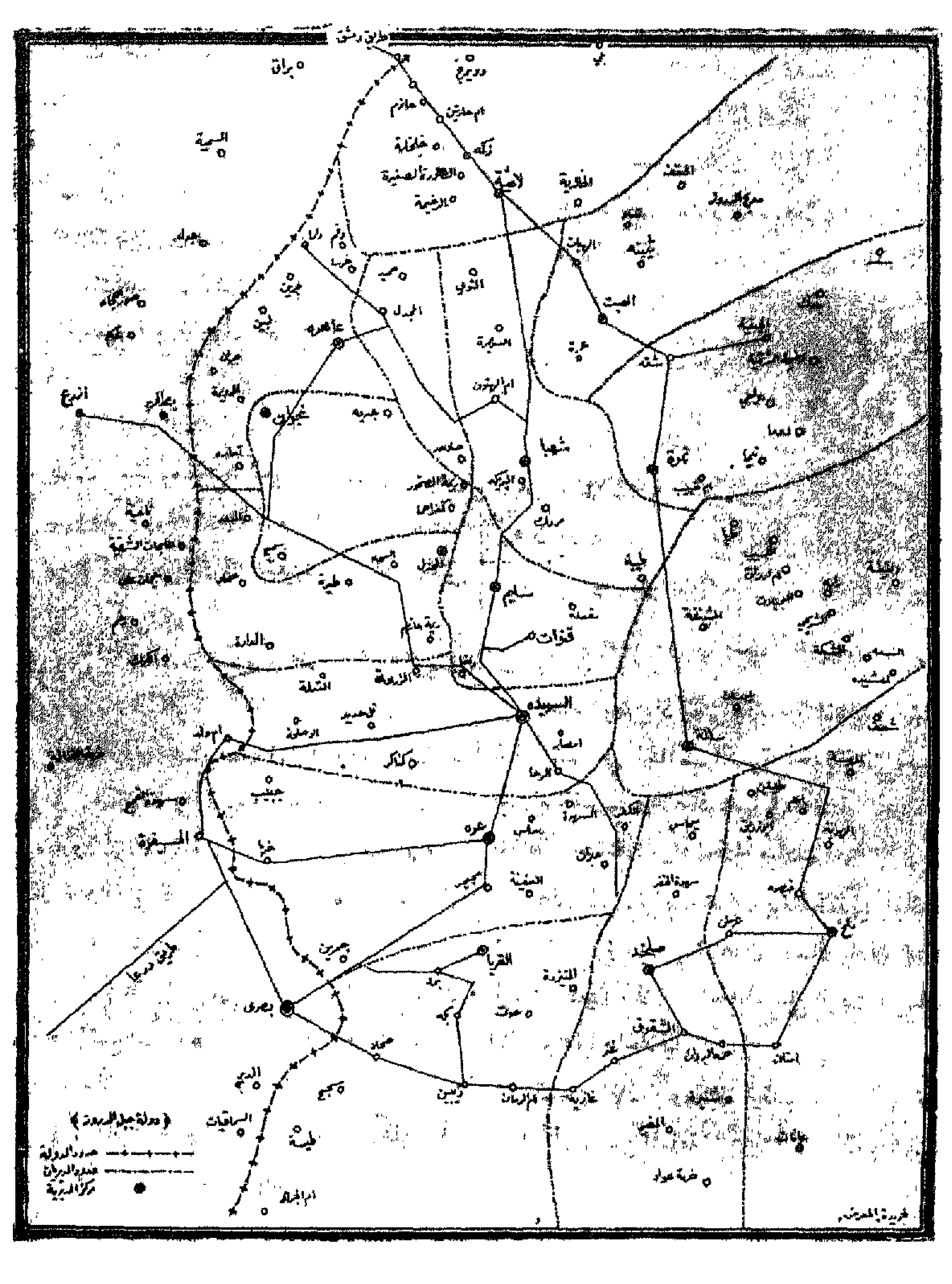
ولما كان القسم الداخلي لا يقبل اكثر من ٢٣ تلميذة فطلبات الدخول فيه تقبل من اول آب فعلى الراغبين في تامين محـل الاسراع في الطلب باسم رئيسة المدرسة

ماري كساب



جعفر باشا العسكري

سفير العراق في لندن وقد قدم مؤخراً اوراق اعتماده وهو ايضاً مندوب العراق في جمعية الامم وقد دافع عن قضية الموصل باسم بلاده دفاعاً متحمساً



خارطة جبل الدروز

كنا نشرنا في عدد فائت خارطة مستوفية لجبل الدروز ولكنها ناقصة بعض اسماء وجهات تهم القراء كثيراً في الحركات الحربية الحالية فلكي يكون القراء على اطلاع تام بهذه الحركات وسيرها اتينا بهذه الخارطة المستوفية فيقدر القراء ان يتابعوا بدقة سير الحملة العسكرية عليها

الذكرى

شاهدت احتضار الشمس فملكني الخشوع والرهبة وشعرت ان انفاسي تكاد تنحصر ضمن صدري فتقطع اوصاله ، لو لم تجد العيون بسكب العبرات فترفه عن نفسي آلامها واحزانها الخرساء

في تلك الساعة المؤثرة وتلك الوحدة الموحشة ذكرتك فجال بخاطري ذكرى ذلك المساء الجميل الذي ضمنا تحت حلك بردته ، وذلك الغاب الظليل الذي طالما كان شاهد عدل على اسرار قلبينا ومحجاً مقدساً لقديم غرامنا ، نأتي اليه لنسمع همس آلهة الحب واناشيدها الشجية ترجعه السكينة ويردده الصدى احن من الاوتار ، وارق من هينمة الاسحار

نعم لقد سالت دموعي عفواً فضممتها صدري المضطرب الخافق لئلا تبوح بسرها المؤلم...

احاول عبثاً اخماد ثورة الحب، وارجو المستحيل حين ارغب في نسيان تلك الايام التي صرفناها في اول عهدنا فلا افلح

حقاً ياصديقي ان السعادة لا تدوم لكن ذكرها يبقى خالداً

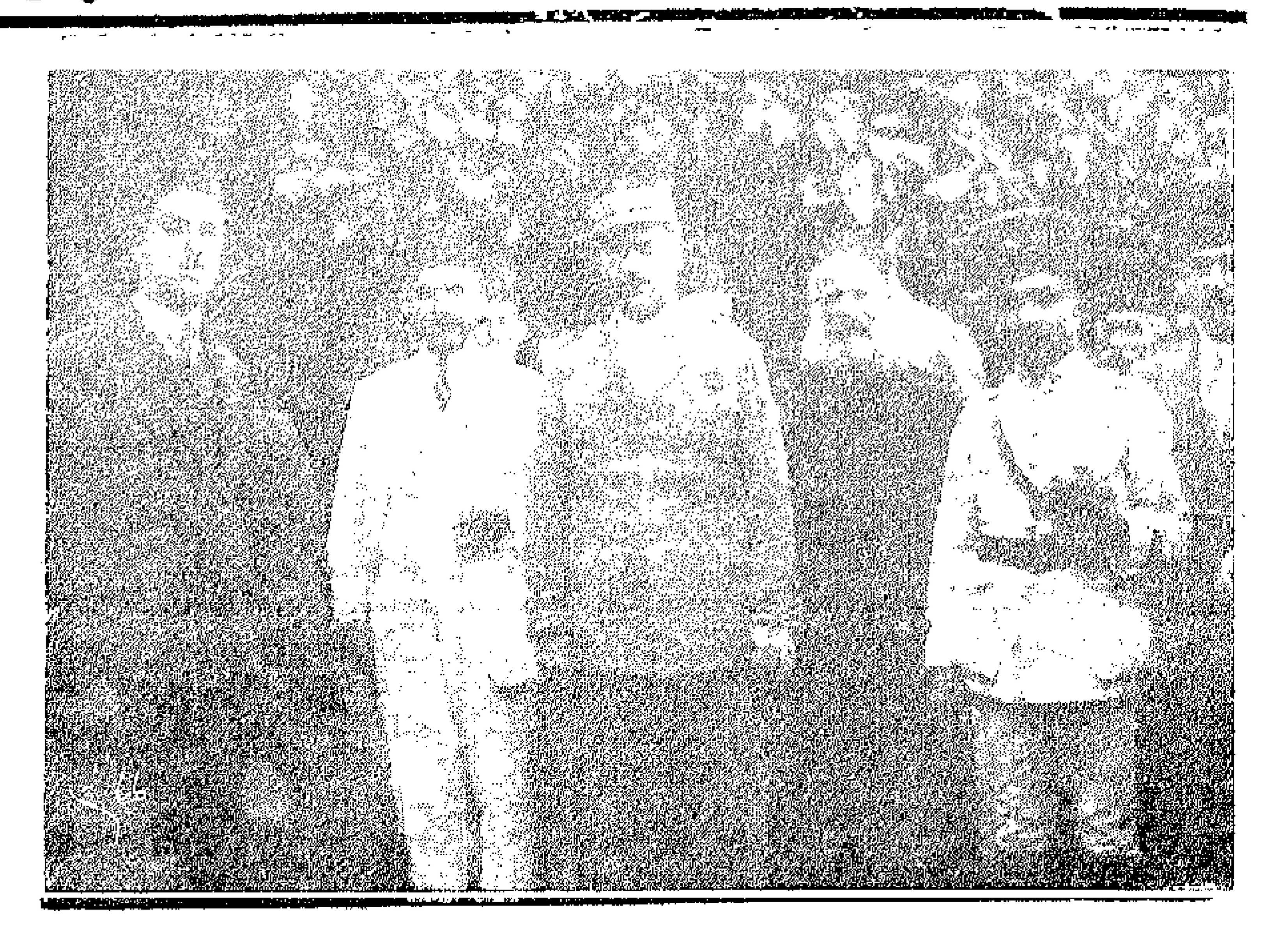
مهجورة



عند ثوار الجبل

مشهد من مشاهد خيام الثوار في قلب جبل الدروز وقد انتشرت الابل ترعى الكلاء حول الخيام

حدثت مشاجرة في ساحة الشهداء اسفرت عن جرح اثنين جراحاً خطرة



المسيو كايلا في البقاع

تصوير توفيق نوفل.

اخذ هذا الرسم اثناء زيارة المسيو كايلا للبقاع : تلك الزيارة التي جاءت متأخرة كما ذكرنا في مقال سابق . ويظهر في الرسم من اليمين الى الشمال : القومندان مرافق الحاكم ثم كاهن صغبين الخوري يوسف عطيه . فالمسيو كايلا ، فالاستاذ نمور رئيس المجلس النيابي ففؤاد افندي البريدي مدير صغبين



فتاة محظوظة

فان الغني الاميركي الكبير المستر برونن اراد ان يتبنى فتاة فاعلن ذلك في الصحف فهطلت عليه الاجوبة كالامطار مع رسوم صاحباتها ولكن وقع اختياره على الفتاة الجالسة الى قربه في هذا الرسم ومن ورائها اهرام عالي من مكاتيب الطالبات يطالعانها وهما يضحكان ، كما ان جدران الغرفة ملئت برسوم صاحبات المكاتيب

الاميركيين « فلتات » والرسم الظاهر هنا يمثل احداها.



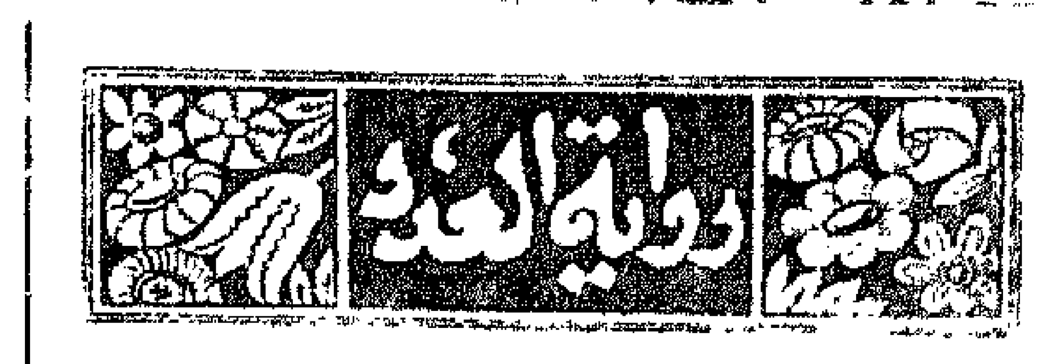
السيارات المصفحة في الجبل الثائر

تصوير سكافو

صورة السيارة المصفحة التي فتكت في صفوف الثوار فتكاً ذريعاً في معركة « تل حديد » فكان الثوار يتعلقون عليها وهي تحصدهم برشاشاتها وقد اخذ رسمها للمعرض المصور سكافو عقيب عودتها من المعركة

اصطدمت عجلة نقل « طنبر » بسيارة كبرى كانت تقل بعض المصطافين على طريق عاريا ـ عاليه فدخل عريش الطنبر في صدر المرحوم جرجي شكور طراد فقتل لساعته . وقد اقيم له في بيروت مأتم مهيب . رحمه الله وعزى آله الكرام على فقده

وقع خلاف شديد جديد بين اهالي رزكوس وصيدنايا وتبادل الفريقان الرصاص مدة طويلة وارسلت الحكومة السورية قوة لمعاقبة اهالي رزكوس لانهم البادئون بالاعتداء على جيرانهم



هوى قاتل

التقت العين الزرقاء اللامعة بالعين السوداء الصافية على غير موعد ، فشملت عينه من عينها — وكان اول عهده بالعيون — فشربت ما فيها من نور ورقة وبهاء زاد تفرساً وتحديقاً وازدادت دلالاً وتورداً . كانت ساعة الغروب اذ خرج المتنزهون افواجاً افواجاً متبعثرين على الطريق الموصل الى منتزه القرية الجميلة الناعمة في حضن احراج الصنوبر الكثيفة . وكان النسيم البليل يلاعب الاغصان ويداعب غدائر الفتيات ، حاملاً في هبوبه الخفيف زقزقة العصافير العائدة من طيرانها وشذى الرياحين وحفيف الاغصان وصدى هدير الغدير السائل من قلب الجبل كصفحة من لجين يتدفق تدفق الدم من الجرح ، ناقلاً الخصب الى الاراضي الصخرية التي حولها جهد اللبناني ونشاطه الى جنائن مثمرة وحقول خضراء يستغل منها اعياله وصغاره مؤونة الشتاء .

اشتبكت الالحاظ فتورد خداها وتحول هو خجلاً الى صديق يرافقه ولكنهما لم يلبثا ان اعادا الكرة وطالا من ارتشاف لذة النظرة الاولى وكادت عيونهما تشمل لولا ان ناداها اهلها فنفرت لاحقة بهم ، وأكمل هو ورفيقه السير الى المقهى القريب الغاص بطلاب النزهة . فجلسا في زاوية من الساحة المحاطة بالسنديان وقد شعشع (العرق) على الموائد ودارت الحميا دورتها فالتهبت المخيلات وعادت مظاهر الشباب الى الشيوخ وارتسم الهناء في الوجوه وهل يوجد اجمل من ساعة (كأس العرق) في سفح آهل من سفوح لبنان ؟؟

ساعة تمر فيها مشاهد الحياة امام العين بصورها والوانها الزاهية والقاتمة وتحي التذكارات وتنكأ الجراح وتزهي الآمال

ساعة يستعيد فيها القلب افراحه والامه وتظفر العين الناضبة بدموعها والقلب القاحل بعواطفه

ساعة تتلاقى فيها القلوب المتباعدة وتسرع دقاتها وتتكسر اهداب جفون العذارى

ساعة تعيد الى الشيخ صباه وتنهض نفس النائم الخامل

ساعة يالما انتجت من شرور ومصائب وفواجع واحزان

...

درج فريق من اللبنانيين على ان يثقفوا اولادهم في المعهد اللبناني القائم على الرابية العالية في ضاحية المدينة لما رأوه منذ القدم من سهر ادارته على تربية الطلاب وتلقينه العلم والاخلاق الوطنية فيخرج منه ابن العشرين متأبطاً شهادته كأنه في الخمسين ولا يخلو هذا التزجل السريع من اسباب واعتبارات فهو احياناً يكون وليد الضغط او الاضطهاد او الشاعرية او الحماسة الوطنية . وكان سليم احد طلاب هذا المعهد ، في القسم الاكليركي ، لان عائلته قررت ان تتحف القرية بكاهن يسهر على الارواح ويرد الضالين الى الحظيرة خصوصاً بعد ما لمسه الجميع في الشاب من مظاهر الذكاء والالمعية وتوقد الذهن وقوة الحجة ومضاء الذاكرة والشاعرية ، فلبس السواد وما كان ثوبه الا ليزيد في لمعان عينيه الزرقاوين فاصبح موضوع اعجاب سكان القرية وضيوفهم المصطافين مدة العطلة المدرسية وكم من وقفة له بينهم انشدهم فيها الشعر الجيد فاسكرهم بمحفوظه من بدائع الشعراء الغزليين ولم تكن البنات اقل من غيرهن اعجاباً باقوال (الشماس) الاسمر البليغ خصوصاً عندما كان يسترسل في انشاد قصائد بهاء الدين زهير ومن الف الفه

وكانت الفتاة المصرية الجميلة اكثر رفيقاتها انتباهاً الى اقواله ولم تكن تفارق « حلقة الانشاد » تحت السنديانة القديمة الا على اثر صياح ذويها وندائهم للعودة الى مسكنهم فنبّه اهتمامها هذا الفتى الشاعر اليها وكان ما كان من التقاء النظرين واشتباك القلبين في ساعة من ساعات الغروب المسكرة وقد برزت جبال لبنان كصفائح من البلور الملون تلفظ عليها الغزالة انفاسها الاخيرة

...

وفي عصارى اليوم التالي التقى الفتى والفتاة في الحرج القريب ولم يكن يزعجهما ثالث ، كان هو يطالع كتاباً صغيراً وقد جلس على صخرة مطلة على البحر وكانت هي تقطف « الشقيق » وتسابق الفراشة البيضاء في طيرانها بين الازهار والادغال . سلم عليها فردت والخجل قد صبغ خديها بالارجوان وتحدثا متلعثمين دون ان يفهم الواحد لغة الاخر وتطلعت الى كتابه فاذا هو هذه المرة مجموعة اشعار لامارتين فاختطفته عن ركبتيه واخذت تنشد (البحيرة) واغفلت ما كان يقرأه وهو قصيدة « الصلوات » فسكر من لحاظها والفاظها وتناسى انه مرشح لنذر العفة — والطبيعة البشرية هي هي مهما تغلبت عليها الحظوظ والارادات القوية فلا تحجبها الوان الملابس لان العواطف القوية اذا احتكت بالضعف الانساني تصدم قوة الارادة وتلاشيها وقد لا يتغلب هذا الضعف في لحظة تمر كالسهام — وكانت هي تتمادى في انشاد تلك الابيات الخالدة وقد تسارعت دقات قلبها وخفق صدرها كريشة في مهب الريح فتماسكت ايديهما دون ان يشعرا وتمشى الهوى العذري في روحيهما وما انتهت الى البيت الاخير من القصيدة الا وشفتاه المرتجفتان ترشفان عسلاً من شفتيها القرمزيتين ، فتدلت عليهما الاغصان وحجبت عنهما في هنائهما غير المنتظر عين الانسان واخر اشعة النهار

وما كاد الصيف يولي حتى اصبحا جسمين في روح واحدة فسحرت عيونه واحاديثه قلبها الطاهر النبيل فهامت به هياماً دونه الجنون وكانا يلتقيان خلسة في ظلال الصنوبرة الكبيرة التي سمعت نجواهما وشهدت قبلتهما الاولى .

وفي اوائل الخريف لما بدأت الاوراق بالسقوط عن الشجر حلت ساعة الفراق فرحلت مع ذويها الى ضفاف النيل وهبط هو الى مقعد المدرسة فكان يستعين بالصلوات والارشادات ولكن ليله كان مملوءاً بالآلام والاحلام فنحل جسمه وذبلت مقلتاه وكاد يخبو ما فيهما من الوان ونور وطبعت على ثغره بسمة ألم وحزن قلما عرفها فتى في حداثته . فحار ولاة امره بتعليل ما اصابه فشددوا عليه النكير في الدرس وممارسة الفروض الاكليريكية فكان يتممها بنشاط وسرعة عجيبين واخيراً قررت هيئة المعهد ارساله الى باريس لاكمال دروسه ولاشباع مطالب نفسه من مناهل العلوم العالية فغاب عن لبنان سنوات امتاز في خلالها على اقرانه وكان في الصف النهائي في مقدمة البرزين فسيم قسيساً وهو في مقتبل العمر وكان محجة انظار رؤسائه اما اثار حبه القديم فقد درست من فؤاده ومخيلته فاندفع اندفاعاً عظيماً في طريقه الجديد الموصل الى الخلاص والحياة الابدية

وفي عشية صيف من عام ١٩١٩ حملته باخرة الى وطنه فكان له فيه منزلة رفيعة وسبق اقرانه القدماء من رعاة النفوس في اكتساب الاسماع والقلوب بما اوتيه من فصاحة لسان وعذوبة لفظ وسعة علم

وكانت البلاد ميداناً للانقلابات تتنازعها المطامع والمآرب من كل صوب فاندفع الكاهن الشاب مع التيار يشد ازر بني قومه ويدافع عن اماني جباله بقلمه ولسانه

وحدث في احدى الليالي انه كان في زيارة صديق وجيه فصادف عنده بعض الضباط من فرنسويين

وانكليز مع عائلاتهم وحانة منه التفاتة الى امرأة ضابط بريطاني كانت تحادث صاحب الدار وقد اخذت عن الغصن قده، وعن البدر نوره ومن الينبوع صفاءه ومن البلبل عذوبة صوته ومن النسيم رقته ، التفت اليها فاعترته قشعريرة هزته كمن لمسته الكهرباء فلم يصدق ما رأته عينه وظن نفسه حالماً وقد زاد خفقان فؤاده المكلوم المختبيء وراء سواد ثوبه وما شعر الا ومضيفه يقدمه الى السيده الحسناء :

« لي الشرف ان اقدم لحضرتك اللادي هجستون » فانحنى امامها طويلاً ولم يرفع اليها بصره — كما يسلم الكهنة على السيدات عادة — اما هي فقد تفرست في العينين اللتين عرفتهما قديماً وخضعت لسحرهما وتهيبت مظهر الرجل بلحيته السوداء الكثيفة، وقد عرفته فتى طريء الصدر ، فانفتح الجرح الذي سالت منه في مدة بعادهما نفساهما الماً ودموعاً ونظرا الى الهوة التي فصلت بينهما مدى الحياة — هو اصبح كاهناً وهي اضحت زوجة لاحد ضباط الجيش الظافر . سران في الكنيسة لا يفكهما الا الموت — فتلعثم لسانهما واستعادا فجأة شيئاً من رباطة الجأش ودفنا في لحظة كل ذلك الماضي كأنهما اتفقا معاً على تضحية اعز ما اختلج في صدريهما في هذا الوجود وانحنى ثانية امامها فردت تحيته بمثلها وانصرف عندما بدأت حلقات الراقصين تتمايل في تلك الدار الفسيحة وقد وقف الشيوخ والهرمات على حدة يبلون شفاههم الناشفة بين لحظة واخرى في كؤوس الشمبانيا الذهبية

غص المعبد الكبير بالخلق وامتلأت فسحاته بالآتين لسماع كلمة الله في يوم من ايام (سبة الالام) وبينهم عدد كبير من الذين لم يتعودوا الدخول اليه وارتفع صوت الواعظ فاصغت اليه الاسماع وكان اندفاعه في خطبته هذه المرة عظيماً لانه شعر بوجود انفاس في وسط هذه الجدران العالية طالما اشتاق الى تنشق نسماتها وبلغ به التأثر في وصف الالام النفسية ومرارة الخطيئة والزهد بهذه الفانية حتى اغرورقت عيناه بالدموع فبكى وابكى وسالت الدموع من عيون قاحلة لم يسبق لها عهد بالبكاء

وكانت في احدى زوايا المعبد سيدة متشحة ثوباً من الحرير الاسود وقد غطت وجهها بحجاب شفاف ووقف قربها ضابط كالرمح ، جمع الى جمال الشبان رصانة الكهول ، فاستندت الى ذراعه لشدة ما اصابها من تأثير كلام الكاهن الخطيب وبكت في صمتها بكاء دونه دموع الثاكلات ولم تقو على الوقوف فسجدت وقد مرّت امام عينها مشاهد حبها في ظلال الصنوبر منذ عشرات السنين ولكن ما لبثت ان استقوت عليها بما سمعته من نصح الواعظ للتمسك باهداب الواجب والفضيلة . وفي هذه الاثناء استولى على الكاهن النحيل الشاب سعال قطع عليه كلامه وفصاحته فارغم على النزول من المنبر في بحر من الدموع وعواطف الاعجاب .

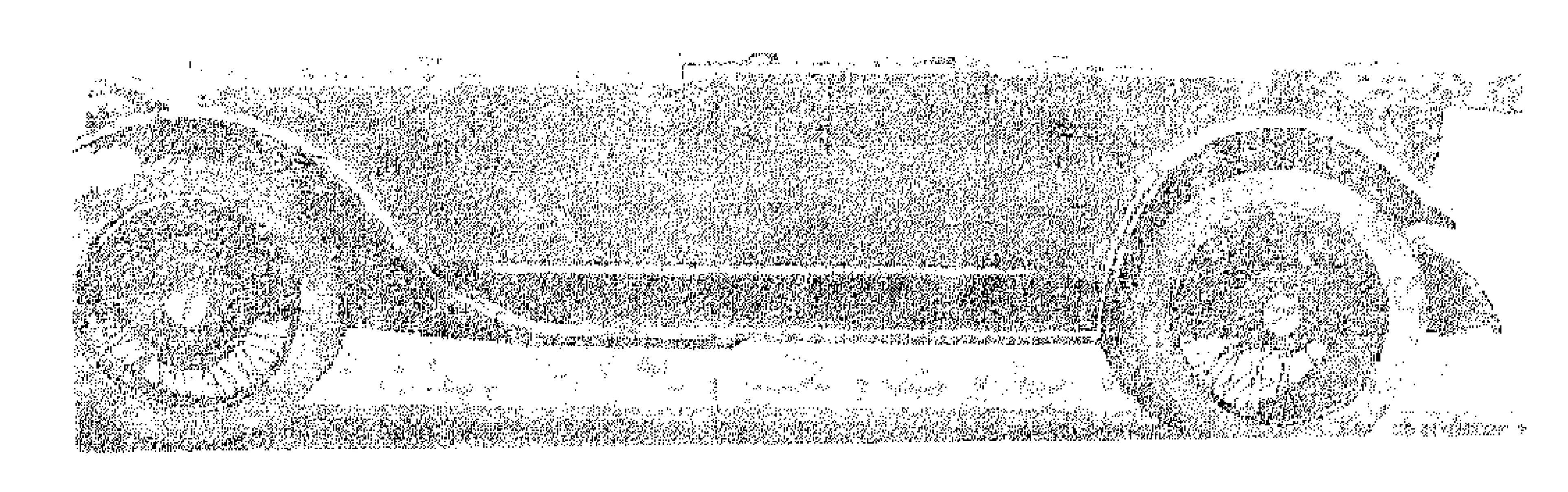
واشار الاطباء بعد حين على رجل الله بان ينقطع عن ممارسة فروضه لان الداء اكل صدره فحمل الى المستشفى القائم على الرابية العالية في لبنان الآهل بالصدورين وهناك زاد نحوله دون ان يتمكن الطب من توقيف الداء القاتل فتلاشت قواه وانطرح على فراشه كالخيال صابراً حامداً منتظراً الساعة الاخيرة مردداً في نومه اسم الله ولبنان وتلك التي احبها وضحى حياته في سبيل المحافظة على عفافها وشرفها

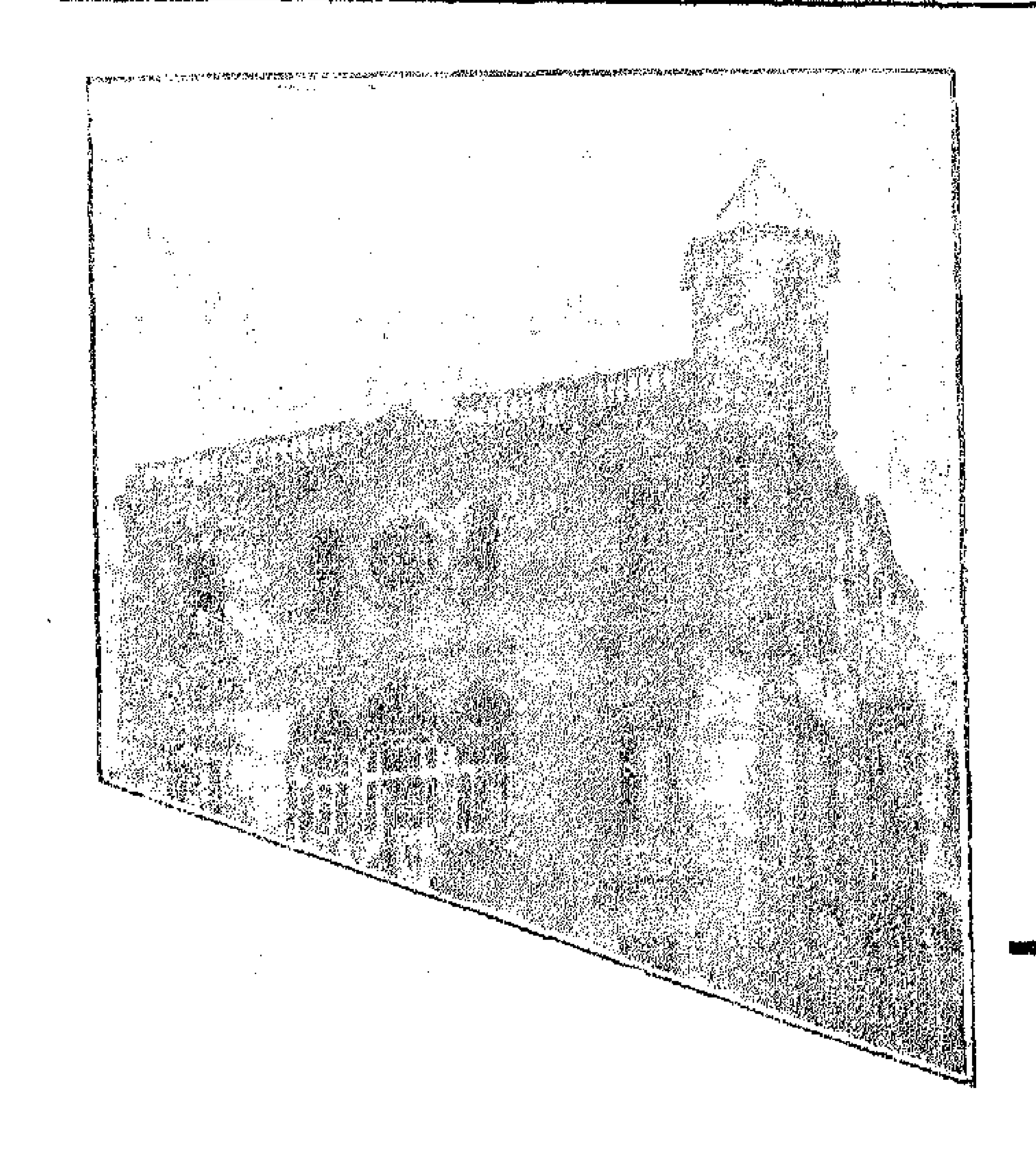
وفي ذات صباح من ايام الخريف الصفراء استدعي رئيس الدير المجاور الى المستشفى وهو شيخ ناهز الثمانين فاستمع اعتراف اخيه الراحل قبل الاوان وتقبل ندامته وصلى عليه واطبق عينيه وامر المرضات ان يلبسنه بزته الكهنوتية المزركشة . .

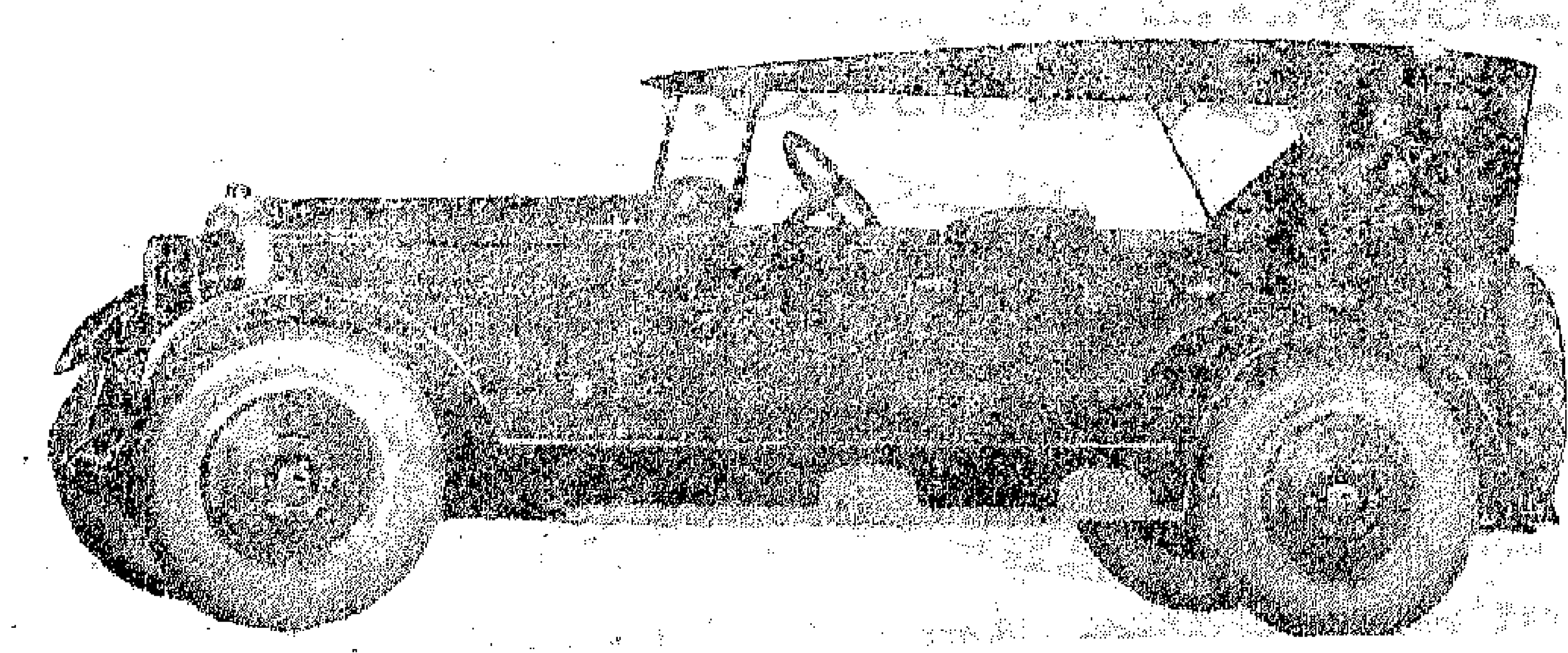
. . .

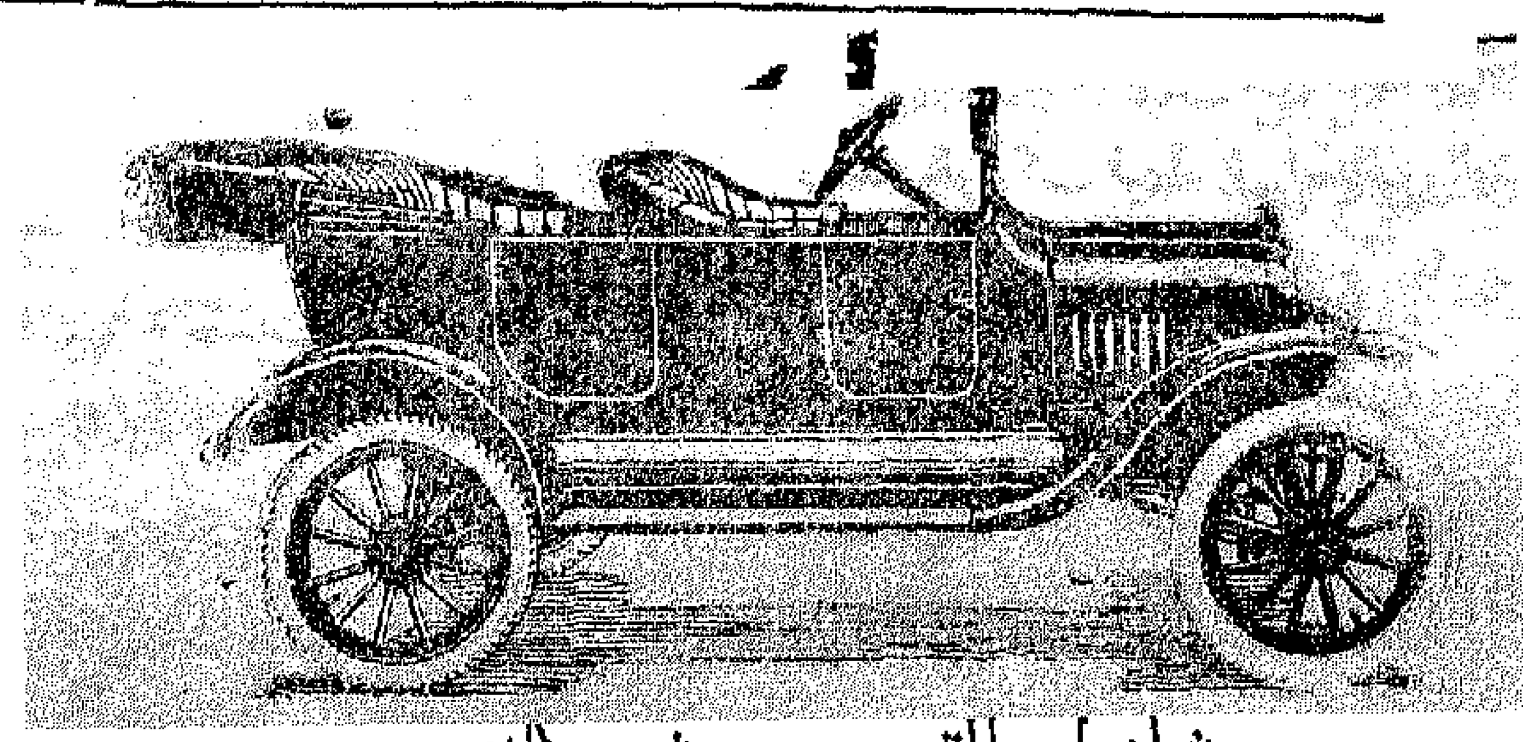
كانت سيدة غريبة في مقتبل العمر تؤم المقبرة المجاورة لكنيسة المستشفى القائمة في ظلال السنديان ، مرة في كل صيف فتضع على قبر منفرد باقة من زهور الحقل ، وتذرف الدموع الغزيرة فوق الورود النابتة حول ذلك الصليب الخشبي منعشة بحرارة انفاسها تلك العظام الدقيقة التي لم تستطع حمل صليب هذه الحياة

اسعد عقل











مطبعة الجليل * شارع البوسطة . بيروت